أدب الطفولة أحد أنواع الأدب المتجدد

فى الآداب الإنسانية

أ. ألفت عبدالعزيز

مديرة مكتبة شبرا العامة

أدب الطفولة أحد الأنواع الأدبية المتجددة فى الآداب الإنسانية، فالطفولة هى الغرس المأمول لبناء مستقبل الأمة والأطفال هم ثروة الحاضر وعدة المستقبل فى أى مجتمع يخطط لبناء الإنسان الذى يعمر به الأرض ويدعم بفاعليته وجوده الإنسانى ويؤكد تواصله الحضارى، فالأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس؛ لأننا لو نظرنا للحياة فى وجهها المضىء لرأينا أن الجمال والسعادة أمران يمنحان الجمال.

ويقول الله سبحانه وتعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فالأموال والأولاد هم الثروة فى جانبها المادى والبشرى وعلى هذين الأمرين تقوم الحياة ويعمر الكون ويدور بواسطتهما التاريخ الإنسانى.

وأدب الأطفال قديم قدم الإنسان على هذه الأرض ومرتبط بوجوده واستمراره، والطفل يكون فى هذه الدنيا كالورقة البيضاء فهو بحاجة إلى التوجيه والعناية والتعليم، وبناء على ذلك تأتى أهمية أدب الأطفال، حيث يعمل هذا الأدب بشتى اتجاهاته القصصية والشعرية والمسرحية على بناء الطفل حيث إن الصياغات القصصية والدرامية تعمل على بث الأفكار والمعلومات والقيم إلى ذهن الطفل وتبقيها بشكل يكون أبعد تأثيرًا وأكثر حضورًا وحفظًا.

فالمواقف الأدبية التى تخاطب الطفل بلغته التى تكون أقدر على التواصل والبقاء النفسى والمعرفى والوجدانى، ومن هنا لابد للعناية بأدب الأطفال بشكل عام.

وفى الواقع مصادر تتحدث عن أدب الأطفال فى العصور القديمة، ولكن كتب التاريخ القديمة تشير إشارة بسيطة إلى بعض القصص التى تتداولها الشعوب والجماعات، وهذه القصص تعتمد على عادات وتعاليم وقيم تلك الشعوب، كالقصص التى تتحدث عن الغول والعنقاء والتنين وكلها تعرض حيوانات أو كائنات خرافية تعتمد على التشويق المصحوب بمفاهيم وقيم الشجاعة والبطولة بشكل خاص، ولكن لا تستطيع أن تقول عنها (أدب أطفال) لعدم وجود أسس واضحة يتبين ماهيتها وكانت تخضع للشفافية والرواية وليس الكتابة.

ولقد جاء فى الحضارة القديمة من خلال بعض الرسوم على الجدران بعض هذه الإشارات والقصص مثل الحضارة الصينية والحضارة الفرعونية وبمراجعة بعض المصادر للحضارة اليونانية الرومانية القديمة لوحظ بعض المشاهدة والمعلومات والأفكار التى تبنى على عناية تلك الشعوب بالنواحى الدينية للأطفال حيث يحرصون على تعليم قيم البطولة والشجاعة والدفاع عن النفس من خلال تدريب بدنى وذهنى مرتبط بتلك القصص الأسطورية، وعليه فأدب الأطفال فى العصور القديمة ليس واضح المعالم، وفى العصور الوسطى نجد أدب الأطفال يبقى التراث الفلكلورى والشفهى أساسًا فى عملية تشكيل الجذور التاريخية لأى حضارة.

ولهذا عندما اخترعت الطباعة كانت القصص الفلكلورية أول ما طبع، فلقد ابتدأ (أوليام كاكسنون) أول مطبعة فى إنجلترا(١٤٧٦م) والتى اعتبرت فيما بعد خطوة تاريخية مهمة سارعت بشيوع كتب أدب الطفل. وهكذا فإن كتب الأطفال الأولى عندما كتبت كانت ترمى لأغراض

تعليمية عظيمة وغالبًا ما كانت كتب فى الأدب والسلوك، ثم ظهرت الكتب الورقية في القرن السادس عشر، والتى أسهمت فى شيوع الكتب حتى فى الوقت الذى بدأت كتب الأطفال تأخذ مناخًا جديدًا وقد ظهرت حكايات بيرو (الإوزة الأم) وقد نشرت عام (١٦٩٨م) أما قصص المغامرات مثل (روبين كروزو ورحلات جوليفر) وقد جاءت هذه القصص تعبر عن أنماط جديدة للأطفال للتفكير، وبرزت نمو الطبقة الوسطى فى القرن الثامن عشر؛ مما كان له أثر كبير على صناعة النشر وظهور الناشرين، وقد حققت كتب (نيوبرى) نجاحًا مهمًا فى تطور أدب الأطفال وجاء (جان جاك روسو) الذى كان معلمًا فرنسيًا ليعبر عن آرائه ولقد أحس روسو بما يلى : بالبساطة والكلية والطبقية وخلقت الحركة الرومانسية رغبة فى استكشاف الأدب الشعبى، وكانت هذه نقلة مهمة فى أدب الأطفال.

ولعل أبرز الأشكال الأدبية التى اتخذت للأطفال موضوعًا كانت القصيدة الشعرية أما فى النثر فنجد أشكالاً من النصائح والوصايا التربوية المتعلقة بتعليم الأولاد وتهذيبهم، وهذا ينبهنا إلى أن هناك فحصًا دقيقًا لمصادر التراث العربى القديم وصفوة المأثور الشعبى قد تكشف عن وجود نصوص وافرة تصلح لأن تكون مادة لأدب موجه للأطفال مثل (كليلة ودمنة والغواص والأسد) وقصص تضمن الأخبار والمغزى والأسفار مثل كتاب (مختصر العجائب والغرائب المنسوب للمسعودى)

أدب الأطفال فى العصر الحديث

يعتبر العصر الحديث عصر أدب الأطفال بكافة وسائله المقروءة والمرئية والمسموعة فمنذ عصر النهضة حدث تحول فى الأدب المخصص للطفل، وكان من بين تحولاته الجديدة الالتفات إلى الأطفال والكتابة فيما يتصل بنشأتهم وتثقيفهم، وقد ظهر هذا الالتفات فى كتابات الرواد مثل رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك.

وتوالت الكتابات منذ ذلك الحين، وهى تعنى بتخصيص جانب من نتائجها للأطفال، ولهذا لم يكن غريبًا بأن شاعرًا كبيرًا مثل أحمد شوقى يفرد عددًا من قصائده للأطفال، ويراعى فيها مستواهم الإدراكى وحصيلتهم اللغوية ونوعية التشويق الذى يجذب مرحلتهم العمرية، كما نجد شاعرًا آخر معاصرًا إنه (محمد الهوارى) يكاد يتخصص فى التأليف الشعرى للأطفال، وفى العصر الحديث بدأ أدب الأطفال يتجه إلى التراث، فنجد بعضًا من نوادر جحا وشيئًا من قصص السندباد ثم انفتح على قصص المغامرات والألغاز التى فتن بها الأطفال كثيرًا.

وقد أثمرت هذه الجهود المتوالية فى العناية بالأدب المكتوب للأطفال الأمر الذى جعل الهيئات الرسمية والجمعيات الأهلية تنشط لرعاية الطفولة والعناية بنشأة الأطفال، ولم يعد الأمر قاصرًا على إصدار كتب للأطفال فحسب بل جرى العمل على إنشاء المراكز والمعاهد والإدارات المتخصصة، وقد تتابع إصدار مجلات ودوريات خاصة بالأطفال فى معظم البلاد العربية ومن أهمها (حكايات حارتنا ومجلات سمسم وسمير وميكى وعلاء الدين وبابا باسم وأحمد والشبل وغيره)

وقد تم تخصيص جانب من الجوائز الرفيعة لتمنح للمبدعين فى أدب الأطفال والكتابة للطفل مثل جائزة الملك فيصل العالمية عام (١٩٩١م) عندما منحت جائزتها للكتاب الثلاثة أحمد محمود نجيب، وعبدالتواب يوسف، وعبدالقادر الصقلى، وظهرت أفلام جديدة اعتنت بالكتابة للطفل وجددتها مثل محمد موفق سليمة، والمنسى قنديل، وأحمد الشيخ، وجار النبى الحلو، وأحمد سويلم العيسى من سوريا، وهذا أدى إلى نقلة نوعية في هذا المجال، واتسع الاهتمام من مجرد تأليف الكتب للأطفال إلى العناية بثقافة الطفل بمعناها الواسع الشامل.

ولهذا أدخلت كل وسائل بث الثقافة وتوصيلها فى مجال الاهتمام كالمسرح بما فى ذلك المسرح الغنائى والسينما والتلفاز والفيديو والكاسيت وما إلى ذلك من الوسائل المستخدمة، وبهذا تكاملت العلاقة بين الإنتاج الأدبى للأطفال وسائر فنون التعبير الثقافى الأخرى، وإذا ذكرنا أدب الطفل فى العربية فيجب ألا ننسى الأساتذة على الطنطاوى سعيد العريان، أمين دويدار، محمود زهران وعبدالرحمن رأفت عوان، محمد أحمد برانق.

أنواع أدب الطفل

١ـ الشعر

وهو سببًا لمتعة الأطفال لمئات السنين ويساعد الأطفال على تعلم الأيام والشهور وأحرف الهجاء والعدد ومن أشهر الأعمال والكتاب ريمون بيرجس فى كتاب (كنز الإوزة الأم) وكتاب (أرانب) لفيشر عام ١٩٩٣م.

٢ـ القصة

وهى حكايات قصيرة تقدم درسًا أخلاقيًا وأكثر شخصياتها من الحيوانات أو الأشياء الناطقة يمكنها التصرف والتحدث كالإنسان، ومن أشهرها فى القرن السابع عشر الميلادى حكايات أيوب للكاتب الفرنسى لافونتين.

ويُعد الفن القصصى أكثر الأنماط شيوعًا، ويشمل مجموعة من القيم والأخلاقيات والمواقف المؤثرة فى نفسية الطفل وشخصيته، وقد فاق عدد الكتب المنشورة للأطفال خلال القرن العشرين مجموعة ما نشر من كتب الأطفال مجتمعة على مدى القرون السابقة، وكان ذلك بفضل نظريات التربية وعلم النفس التى أكدت ضرورة القراءة للأطفال.

وتمثل كتب الصورة أول تقديم كبير فى القرن العشرين فى أدب الأطفال، فقد اكتسبت الرسوم أهمية تعادل أهمية النص فى فهم القصة والاستمتاع بها مثل نص الأرنب بيتر (١٩٠١م) للكاتبة بيا تركس بوتر، وهكذا فإنه يمكننا القول إن عالم الطفل وأدب الطفل مترابط وقديم قدم الإنسان ذاته، ولكنه خضع للتطور التقنى والتربوى والعلمى الذى تتابع على مدى القرون والعقود الأخيرة. ونؤكد على أن العصور الحديثة كانت الازدهار الفعلى والحقيقى لأدب الأطفال من خلال الكتب المنشورة المتخصصة فى الشعر والنثر كالقصص والمسرحيات، أضف إلى ذلك استخدام وسائل النشر الإلكترونية مثل الأفلام والرسوم المتحركة واستخدام تقنية الرسم فى القصص وغير ذلك من التطورات الهائلة في مجال أدب الطفل.

إن أدب الأطفال يتقدم بسرعة بناء على تقدم العلوم الإنسانية بشكل خاص، حيث تؤكد هذه العلوم على أهمية الأنواع الأدبية ودورها المهم فى تشكيل عالم الطفل وشخصيته واتجاهاته النفسية والمعرفية.

المراجع

١- الموسوعة العلمية العالمية، الرياض، ١٩٨٦م ج ١حرف أ.
٢- أدب الطفولة : أصوله ومفاهيمه، د. أحمد زلط، القاهرة ١٩٩٤م ط ح
٣- أدب الأطفال العربى الحديث وتغريد القدس، الكويت أكتوبر ١٩٩٢م